الامر الواقع مما يروضها على التعود عليه ويشغلها بأمورها المعيشية اليومية عن قضية مصيرها القومي . ولكن الازمات والهزات كانت تكشف دائما عن استحالة اقتناع العربي بكونه مواطنا اسرائيليا . انه لم يختر انتماءه الاسرائيلي اطلاقا ، ولم تتح له فرصة الخيار ، في يوم من الايام ، بين أن يكون اسرائيليا أو لا يكون . كانت الظروف السياسية الداخلية تعطيه اختيارا واحدا لا يخرج عن اطار الكيان الاسرائيلي : أن يختـــار القوة السياسية الاسرائيلية للعمل داخل العلاقات الشرعية القائمة ضمن المؤسسة الصهيونية الواحدة . وتشترط شرعية العمل والممارسة السياسية في هذه المؤسسة عدم المساس بجوهر الكيان الصهيوني . ومن هنا ، كانت حرية العربي الوحيدة المتاحـــة ، ضمن الظروف الداخلية والخارجية الراهنة طيلة ربع القرن ، هي حرية الاعتراض المشروط على أشكال التطبيق الصهيوني وحجمه ، وحرية الدعوة الى الاصلاح داخل المؤسسة الصهيونية . وتنتهي هذه الحرية وتتحول الى خيانة أو تجسس اذا ما وصلت ممارسة الاعتراض الى مبدأ الكيان الصهيوني عندها تدفع خارج الشرعية والقانون وتصبح عملا سريا ويجد العربي نفسه خارج السياسة . ومن هنا ايضا تكون حرية العربي داخل اسرائيل ضربا من ضروب اختيار العبودية ، طـــالما ان العبودية التـــي يفرضها مبدأ الاعتراف بحق اسرائيل ، وهو عبودية بالنسبة للعربي لانه الغاء لحريته ، شرط لسعيه نحو ممارسة حريته .

لماذا يرضى العربي بهذا الجانب غير الحر من الحرية ؟ في ظروف سياسية معينة تكون هذه الممارسة قدرا لان بديلها واحد من اثنين : اما التخلي عن ميدان الممارسة . وهذا يعني التخلي عن الوطن ـــ في المرحلة الحالية ـــ من أجل اختيار حرية الاعتراض الكامل والملتزم على الكيان الصهيوني والانخراط في جبهة قتال . واما المقاومة السرية داخل الارض المحتلة ، وهذا يعني اعلان الكفر بطاقات العمل السياسي المشروع وامكانياته ضمن دائرة القانون الاسرائيلي . وهو بديل لا تحدده الشجاعة الشخصية والمشاعر الوطنية بمعزل عن الامكانية الداخلية ومستوى تطور الصراع العربي الاسرائيلي .

●

لا يستطيع العربي في اسرائيل أن يقيم تنظيمه السياسي المستقل . وهذا ما يجعله يمارس النشاط السياسي في أحزاب اسرائيلية . واشتراك العربي في نشاط الاحزاب اليسارية يعتبر ممارسة تقدمية في ميزان القوى السياسية في اسرائيل ، وخاصة فيما يتعلـــق بالمشاكل السياسية واليومية الاكثر الحاحا، وفي مراحل معينة من الصراع الاسرائيلي ـــ العربي حيث لا يكون البت في مسألة الكيان الاسرائيلي هـــو القضية الاولى في سلم الاولويات . العرب في اسرائيل هم جزء مـــن الشعب العربي الفلسطيني ـــ ليس من السهل تأكيد هذا الانتماء داخل اسرائيل ، لان للانتماء التزاما بالمعركة والمصير . ولا يسهل على الحزب الشيوعي وهو الحزب اليساري الوحيد الذي يمارس فيه الوطنيون العرب نشاطهم السياسي أن يؤكد هذا الانتماء دائما ، ليس لان هذا الانتماء وجهة نظر قابلة للمناقشة ، بل لانها تحدد ، في مرحلة من مراحل الصراع ، وجهة نشاط هذه الاقلية القومية في اتجاه شعبها الفلسطيني . اذن ، كيف تناضل هذه الاقلية القومية الآن ، وما هو دورها السياسي ؟. يقول اهود يعري في صحيفة « دافار » عن العرب الذين كانوا ينتمون الى الحركة القومية « الارض » وهي كانت محاولة لاقامة تنظيم عربي مستقل انهم ينقسمون الآن الى ثلاثة تيارات : « ثمة من يواصل العمل السياسي الوطني ضمن أطر جديدة ، وثمة من يئس تماما من احتمالات الصراع ضد اسرائيل . وهناك من توصل الى استنتاج من أنه لا مفر من الارهاب » . ويضيف الكاتب : « ان كل شاب وطني يقف